إسهامات الأتراك السلاجقة في حركة التأليف وإنشاء المكتبات في اليمن
٥٦٩ - ٨٥٨هـ / ١١٧٣ - ١٤٥٤م

د. طه حسين عوض هُديل

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني للحضارة والثقافة السلجوقية: " العلم والفكر في العصر السلجوقي: المنعقد في جامعة سلجوق، مدينة قونية – الجمهورية التركية، في المدة من ١٩ – ٢٢ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١١م.

المقدمـــة:

إن القارئ لسير الأمم والحضارات التي قامت في العالم عبر العصور قد يمر على تاريخ بعضها مرور الكرام دون أن يشده شيءٌ فيها أو يلفت انتباهه، في حين قد تستوقفه بعض تلك الحضارات ليقف معجباً بتاريخها ومبهوراً بمنجزاتها العلمية التي كانت سبباً في أن يُسطر تاريخها بالنور، وتعد الحضارة السلجوقية من بين تلك الحضارات التي يستوقف تاريخها أي باحث أو قارئ وتشد انتباهه، بما وصلت إلية تلك الحضارة من علم ورُقي وازدهار امتد ضلاله ونوره ليصل إلى جميع البلاد التي دخلت في إطار الدولة السلجوقية الكبرى، وأصبح يعود لهذه الحضارة الفضل في احتواء الحضارة الإسلامية بعد التدهور الذي شهدته؛ بسبب الضعف الذي تعرضت له الخلافة العباسية، ونتيجة لذلك عززت الدولة السلجوقية من دور الحضارة الإسلامية، وأعادت لها مجدها وعزتها بين الأمم، وأقامت فيها ما قد اندثر، لهذا تشير المصادر التاريخية التي دونت للتاريخ الإسلامي أنه كان للأتراك السلاجقة دور واضح وجلي في تراث الأمة الإسلامية عامة، كما كان لهم الأثر الأكبر في نقل أفكارهم العلمية والثقافية إلى معظم تلك البلاد التي ارتبطت بهم.

وتُعد بلاد اليمن من البلدان التي تأثرت بالحضارة التركية السلجوقية، وبعلومها المختلفة وثقافتها، وبما شهدته من تطور وازدهار، بحكم التقارب المذهبي السني بينهما، لاسيَّما في المدة من منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن التاسع الهجريين، وهي المدة التي شهدت فيها اليمن تطور وازدهار على مستوى حياتها العلمية، ويبدو أنه كان للمؤثرات الثقافية والفكرية السلجوقية التي انتشرت في العالم الإسلامي دور فيما وصلت إليه اليمن من تطور وتأثير علمي وفكري، خاصةً وأن أكثر ذلك التأثير بين الحضارة السلجوقية واليمنية جاء عن طريق مؤلفات كبار علماء السلاجقة التي كانت تدخل إلى اليمن بشكل دائم عن طريق الحجاج والتجار وطلبة العلم وغيرهم، مثل مؤلفات الإمام أبو حامد الغزالي وغيره، أو بواسطة علماء الأتراك وفقهائهم الزائرين لليمن، أو سلاطين اليمن من آل رسول التركمان الذين ينتسبون هم أنفسهم إلى الغز من الأتراك السلاجقة، والذين بفضل ثقافتهم وجهودهم العلمية بُنيت المدارس في اليمن، وازدهر التعليم، وانتشرت العلوم بفروعها المختلفة العقلية والفلسفية والدينية، وازدادت حركة التأليف، والنسخ، وجمعت أمهات الكتب، وعمرت المكتبات التي احتوت على العديد من مؤلفات كبار علماء السلاجقة، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة كتابة هذا البحث لإبراز إسهامات هؤلاء العلماء في حركة التأليف وإنشاء المكتبات في اليمن.

إن من أكثر الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع اهتمامي الكبير وإعجابي بالحضارة السلجوقية وبمنجزاتها التي شملت جوانب الحياة كافة، وتأثيراتها الجلية في جميع الأمم التي تواصلت معها أو دخلت تحت حكمها بما فيها اليمن، على الرغم من البعد الجغرافي والمكاني الكبير بينهما، الذي لم يقف عائقاً أمام المد الفكري والثقافي الذي وصل حتى اليمن، فضلاً عن رغبتي في إبراز دور الأتراك في حركة التأليف وإنشاء المكتبات. ولتحقيق الهدف المنشود قمت بتقسيم موضوعي هذا إلى

خمسة مباحث رئيسة: درست في **المبحث الأول** منه: الصلات التاريخية التي ربطت الأتراك باليمن، ووضعهم فيها، وتناولت في **المبحث الثاني:** وسائل التواصل التي ربطت بينهما، وأفردت **المبحث الثالث:** لدراسة دور الأتراك السلاجقة في تطوير التعليم، ودرست في **المبحث الرابع:** إسهامات الأتراك السلاجقة في حركة التأليف في اليمن، وخصصت **المبحث الخامس:** لدراسة دورهم في جمع الكتب ونسخ النادر منها، وإنشاءهم للمكتبات النفيسة، وتأثر اليمنيين بهم، وأنهيت موضوعي هذا بخاتمة احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

المبحث الأول:

الصلات التاريخية للأتراك السلاجقة ببلاد اليمن:

مُيزت الدولة السلجوقية التركمانية[١] بأنها حكمت بلاد عربية وإسلامية واسعة؛ شملت إيران والعراق وسوريا واسيا الصغرى، لاسيما في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد خضعت اليمن كغيرها من البلاد العربية والإسلامية في وقتٍ لاحق للوجود التركي السلجوقي فيها، على الرغم من البعد الجغرافي بينها وبين بلاد الأتراك في آسيا الصغرى (الأناضول)، علماً بأن اليمن تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، أي جنوب غرب قارة آسيا، ومع ذلك لم يقف البعد الجغرافي عائقاً أمام وصول الأتراك إليها، مع إن قدومهم لم يكن يتم بصورة رسمية تشرف عليه جهة مسئولة ممثلة بالدولة السلجوقية في ذلك الحين؛ بل على العكس من ذلك، فقد كان قدومهم يتم بشكل جماعات، وأُسر استغلت ما كانت تعانيه اليمن من فتن داخلية لتصل إليها، وتستقر فيها، ويكون لها مكانة بحكم قدراتها العسكرية والفكرية المختلفة التي تميز بها الأتراك السلاجقة عن غيرهم[٢]، وبسبب هذه الجماعات بدأت التأثيرات السلجوقية تنتقل إلى اليمن بوسائل اتصال مختلفة ربطت فيما بينهما، وجعلت اليمن تتأثر بكل جديد يظهر على الساحة التركية.

لقد كان للوجود التركي في الجزيرة العربية دوره في أن تكون الحجاز هي النافذة التي أطل منها الأتراك على اليمن بحكم التقارب الجغرافي بين القطرين، خاصة بعد أن شهدت مكة توافد أعداد كبيرة من هؤلاء الأتراك إليها لاسيما الغُز[٣] منهم، لأسباب لم تشر إليها المصادر التي بين أيدينا، وقد يكون منها رغبتهم في تلقي العلم مثلاً، أو لتأدية فريضة الحج، أو للعمل كجند أو غير ذلك، إذ إنه عن طريق مكة تمكن الأتراك من التعرف على بلاد اليمن بعد أن تواصلوا مع بعض أهلها الذين كانوا يزورون الحجاز بدافع التجارة أو العلم أو هروباً من الفتن المنتشرة هناك التي كانت من بين أهم الأسباب التي ساعدت على دخول الغُز بكل سهولة إليها فيما بعد، وإذا بحثنا عن البدايات الأولى للوجود التركي في اليمن نجد أن بداية العهد لهم باليمن كانت سنة ٤٨٦هـ، عندما استعان جياش بن نجاح (ت: ٤٩٨هـ)[٤] بطائفة منهم كانت في مكة لحرب منافس له في اليمن يعرف باسم سبأ بن أحمد الصليحي (ت: ٤٩٢هـ)[٥]، وقد لقيت دعوته هذه استجابة ألفي فارس من الغُز التركمان[٦].

وعلى ما يبدو أنه كان للقدرات المختلفة التي تميز بها الغُز التركمان دور فيما حققوه من انتصارات لصالح جياش بن نجاح، حتى أنهم عدوا أنفسهم أصحاب الفضل الأول في عودته إلى اليمن بعد أن كان مطارداً من قبل الصليحي، وهو ما أعطى لهم الحق في التفرد ببعض أمور الدولة والحكم، فأصبحوا يشكلون خطراً على دولة جياش بن نجاح الذي لم يكن أمامه إلاّ سرعة التخلص منهم بطريقة لا تشعرهم بذلك، فدس لقادتهم السم، ودفع الأموال لإثارة الفتنة بينهم، وإغراء بعضهم بالمال للتخلص من الآخر، ومع ذلك لم يستطع القضاء عليهم كاملاُ، مما دفعه في الأخير إلى اتباع سياسة جديدة معهم، فراح يقطع بعضهم مناطق لا يؤثر وجودهم فيها على الدولة، مثل وادي ذوال في تهامة(٧)، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من حياة الغُز التركمان في اليمن، لاسيَّما بعد أن انتقلوا إلى وادي ذوال، وشاركوا سكانه الأصليين من القبائل العكية والأشعرية وغيرها العيش، ولم يمنعهم ذلك من التوسع في تهامة، فسكن بعضهم بعض المدن الرئيسة مثل زبيد(٨) وحسنت حالهم، وأصبحوا من أصحاب الثروة والأملاك؛ ولكي يكون لهم ثقل في المنطقة كبقية قبائلها كونوا لهم زعامات تحركهم ويخضعون لها، ولم يمنعهم ذلك من التداخل مع سكان وقبائل المنطقة؛ فاختلطوا بهم وتزوجوا منهم، وظهر جيل جديد من المولدين الذين جمعوا بين الملامح اليمنية والتركية في زبيد(٩).

إلاّ أن ما عزز وجود الأتراك الغُز في اليمن فيما بعد دخول الأيوبيين إليها سنة ٥٦٩هـ بقيادة توران شاه بن أيوب، حيث ضم جيشه أعداداً كبيرة منهم، كان من بينهم أسرة تركمانية عرف أفرادها ببني رسول، وقد دخلوا إلى اليمن كجنود تحت إمرة سلاطين بني أيوب(١٠)، ثم شاءت الأقدار أن يصبح لهذه الأسرة التركمانية شأن عظيم في اليمن لاحقاً، لما تميز به أفرادها من خبرات علمية وقيادية، وقدرات على الإدارة والحكم، ساعدتهم على التدرج في المناصب العليا في الدولة الأيوبية، حتى تمكنوا من إقامة دولة لهم في اليمن التي لم تعرف الأمن ولا الاستقرار والنماء والتطور والازدهار والعلم والمعرفة إلاّ في مدة حكم هذه الأسرة الذي استمر ٢٣٢ عاماً(١١)؛ عرفت اليمن خلالها العلوم الشرعية والعقلية والإنسانية، والدراسات اللغوية والأدبية، وازدهرت حركة التأليف والنسخ وإنشاء المكتبات الضخمة، وبناء دور العلم والمعرفة التي ذاع صيتها في مختلف البلاد الإسلامية، وقد برز نجم بني رسول التركمان على المسرح السياسي منذ عهد السلطان طغتكين بن أيوب، وأكثر من ذلك في عهد السلطان المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل الأيوبي (ت: ٦٢٦هـ)(١٢)، الذي في عهده ارتفعت مكانة التركمان وعظم شأنهم، بعدما حققوه من انتصارات ضد القوى الخارجة عن طاعة بني أيوب(١٣)، وقد شجعهم هذا الأمر على الإنفراد بحكم اليمن سنة ٦٢٦هـ، بعد أن خلع نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني طاعته عن الأيوبيين في مصر، وأعلن قيام دولته، وتلقب بالمنصور، وكاتب الخليفة العباسي المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله (٦٢٣- ٦٤٠هـ) الذي منحه نيابته على اليمن، ثم ضرب السكة (العملة) باسمه، وخطب له من على المنابر، وبذلك تمكن المنصور من القضاء على الوجود الأيوبي في اليمن ليبسط سيطرت أسرته التركمانية عليها(١٤).

وإذا بحثنا عن وضع الغز التركمان عند قيام الدولة الرسولية، وفي مدة حكم آل رسول لليمن نجد أنهم قد لقوا عناية خاصة من قبل أبناء جلدتهم الرسوليين لانتمائهم إليهم، فاعتمدوا عليهم في كثير من أمور الدولة، وإقرار الأوضاع فيها، وتثبيت دعائمها لما عرف عنهم من خبرة ومقدرة على القيادة وإدارة دفة الحكم، وتسيير الجيوش، فكانوا معظم الجيش الرسولي، وأبرز قادته وأمرائه، لما أوكلت إليهم من مناصب قيادية مرموقة ميزتهم عن غيرهم من القيادات، حتى أن وجودهم أصبح ضرورة ملحة لتثبيت دعائم حكم معظم السلاطين الرسولين الذين اعتمدوا عليهم في إخضاع المنافسين لهم على الحكم من القوى المعارضة لحكمهم(١٥)، لذلك لم يبخل بنو رسول على هؤلاء الغز التركمان، فأنعموا عليهم بالإقطاع(١٦)، وبذلوا لهم الأموال والهدايا والهبات بسخاء، وشاركوهم أفراحهم، وتحملوا تكاليفها(١٧)، وقد أدى هذا الأمر إلى أن يندمج الغُز التركمان في داخل المجتمع اليمني بعد أن تقربوا من أبنائه، وقدموا لهم الكثير من أعمال الخير والبر، واحتلوا عندهم مكانة رفيعة لما عُرف عنهم من أخلاق وقيم ومبادئ، وحسن معاملة وتقدير، وفعل للخيرات، وتورد لنا المصادر التاريخية أسماء للكثير من الأتراك السلاجقة ممن قدموا خدمات جليلة لليمنيين رفعت من مكانتهم وزادت من احترامهم وتقديرهم عند أبناء اليمن(١٨). لهذا كان لظهور جيل جديد من التركمان المولودين في اليمن – فيما بعد – دور في ذوبان بعض جماعات منهم في المجتمع اليمني لنشاتهم فيه وتربيتهم بين أبنائه، ومع هذا ظل أبناؤهم يعرفون بأبناء الغُز، وظلوا مميزين بين سكان اليمن بخيرهم وعلمهم وخبراتهم المختلفة العلمية والقتالية وغيرها(١٩).

وعلى أية حال، فقد يعتقد بعضهم أنه باستقرار بني رسول وغيرهم من الأتراك السلاجقة في اليمن يكون ذلك نهاية للتواصل بين الأتراك واليمنيين، بل على العكس من ذلك فقد استمر التواصل، وظلت التأثيرات السلجوقية تصل إلى اليمن بطرق ووسائل مختلفة وغير مباشرة، نحن بصدد دراستها.

المبحث الثاني:

وسائل التواصل التي ربطت الأتراك السلاجقة باليمن:

لم يكن استقرار من جاء من الأتراك مع الأيوبيين في اليمن هو نهاية للعلاقات التي ربطت بلاد السلاجقة باليمن، فقد ظلت التأثيرات التركمانية السلجوقية تصل إلى اليمن بشكل دائم على الرغم من البعد المكاني بين الإقليمين، وإذا ما بحثنا عن الوسائل المختلفة التي أدت إلى ذلك التواصل، قبل دخول السلاجقة إلى بلاد اليمن وبعدها، فنجد أنها متعددة ومتنوعة، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

١- **التجارة:** وكانت شريان الحياة الذي ربط أقاليم العالم الإسلامي ببعضها، وأهم وسائل الاتصال، كما كانت عاملاً مهماً في التواصل العلمي بين اليمن وغيرها من البلاد الإسلامية لاسيما الدولة السلجوقية والأقطار الإسلامية الخاضعة لها، وقد أدى بعض التجار المهتمين بالعلم دوراً كبيراً في إيصال بعض الكتب المستحدثة إلى اليمن عبر القوافل التجارية، في محاولة لنقل المعارف بين أقاليم العالم الإسلامي أو للاستفادة المالية من ذلك ببيعها على أهل العلم في المناطق التي كانوا يصلون إليها. كما أنه عن طريق القوافل التجارية تواصل بعض مشايخ اليمن مع علماء حواضر العالم الإسلامي في

بعض المسائل التي استعصت عليهم، وذلك بإرسال مؤلفاتهم وما فيها من مسائل خلاف إلى هناك بواسطة بعض المسافرين والتجار، ويذكر الخزرجي[٢٠] أن العلامة الإمام أبا الحسن علي بن قاسم بن العليف بن هيس الحليمي الشراحيلي (ت: ٦٤٠هـ) أرسل كتابه الدرر إلى بغداد – وكان فيها الكثير من علماء وفقهاء الأتراك السلاجقة- بصحبة الإمام رضي الدين الصغاني، فراجعه جماعة من علماء بغداد وصححوا ما فيه ثم أعادوه، مما يدلنا على أن التواصل بين اليمن وعواصم بعض البلاد الإسلامية التي كانت خاضعة لدولة السلاجقة لم يعرف الانقطاع على الرغم من التباعد بينهم؛ لهذا ظلت التأثيرات العلمية والفكرية السلجوقية تصل إلى اليمن بشكل دائم وغير منقطع، بواسطة التجارة حتى أنه عن طريقها انتقلت مؤلفات كبار علماء السلاجقة والبلاد الخاضعة لها إلى اليمن، ونتيجة لشهرة هؤلاء العلماء وانتشار ذكر مؤلفاتهم في معظم البلاد الإسلامية أصبحت كتبهم من أهم المراجع التي يعود إليها العلماء والفقهاء والمدرسون عند تدريسهم للطلاب في المدارس اليمنية، وصار من الصعب على أي طالب أن ينتقل من مرحلة إلى أخر إلا بعد أن يتجاوز مرحلة سماع ما جاء في هذه المؤلفات لأهميتها العلمية.

٢- **مواسم الحج والعمرة:** وشكلت جانباً مهماً من جوانب التعارف بين المسلمين، لاسيما بين علماء السلاجقة وعلماء اليمن، كما تُعد من أهم الوسائل التي عن طريقها انتقلت التأثيرات السلجوقية إلى اليمن، وعلى ما يبدو أن تلك اللقاءات التي كانت تتم في موسمي الحج والعمرة كانت سبباً رئيساً في التواصل العلمي الذي عن طريقه تمكن اليمنيون من التعرف على كل ما هو جديد في الحياة العلمية السلجوقية، وسبباً في نقل أفكار ومؤلفات وكتب علماء السلاجقة إلى اليمن والعكس، ومما يؤكد على دور الحج والعمرة في التواصل بين المسلمين ما أورده الجندي[٢١] عن أحد فقهاء اليمن من بني ناشر ويعرف بالفقيه الحبل أنه في أحد رحلاته إلى الحج اجتمع في مكة بأحد كبار علماء السلاجقة وهو الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠- ٥٠٥هـ)[٢٢] الذي ذاع صيته في ذلك الحين في مختلف البلاد الإسلامية بما فيها اليمن، وانتشرت مؤلفاته فيها، ومن الملاحظ أنه كان لتجمع الناس في موسم الحج دوره في أن يتعرف علماء اليمن على قطب جليل من أقطاب الأمة الإسلامية، كما كان هذا اللقاء سبباً في نقل بعض مؤلفاته إلى اليمن لتُدرس هناك مثل كتاب: "الوسيط"، وكتاب: "البسيط"، وكتاب: "الوجيز"، وكتاب: "إحياء علوم الدين" وغيرها من المؤلفات التي تأثر بها اليمنيون وصاروا يعتمدون عليها كمادة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها في العملية التعليمية[٢٣].

٣- **الرحلة في طلب العلم:** وتعد أيضاً من أهم وسائل التواصل التي بالقيام بها تم نقل الكثير من الثقافات والمؤلفات السلجوقية إلى اليمن التي كان فقهاؤها وطلبتها الباحثين عن العلم والمعرفة يخرجون إلى حواضر العالم الإسلامي للبحث عن الجديد في العلم، ورغبة في لقاء كبار علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا قد سمعوا عنهم أو قرأوا كتبهم وتعرفوا عليهم عن طريق هذه الكتب، وقد كان هؤلاء ينقلون ما لديهم من معارف وثقافات وعلوم ومؤلفات إلى البلاد التي يدخلونها، وعند خروجهم عادةً ما يأخذون معهم جديد تلك البلاد من العلوم والثقافات المعروفة فيها، وهو ما يسَّر سهولة تعرف اليمنيين على كل ما هو

جديد في بلاد السلاجقة والأقطار الإسلامية التي كانت خاضعة لها في العصر المذكور[٢٤]، وقد بلغ من الشهرة العلمية لهذه البلاد إلى أن تُرسل البعثات إليها للاستفادة من علمائها، حتى أنه يذكر عن السلطان المظفر يوسف الأول الرسولي التركماني (ت: ٦٩٤هـ) أنه كان يرسل البعثات العلمية إلى بعض مناطق خراسان في إيران وتحديداً إلى مدينة هرات التي كانت خاضعة للدولة السلجوقية للحصول على بعض المعلومات وحل بعض المسائل العلمية التي وقف عاجزاً أمامها في اليمن، ولم يجد لها حل إلا في هذه البلاد، وعند علمائها[٢٥]، ويبدو أنه كان للتقارب المذهبي السني الشافعي[٢٦] بين البلدين دور في سرعة انتشار مؤلفات علماء السلاجقة في اليمن، لرغبة اليمنيين في دراستها والتعلم منها، ونسخها لكون لها رواج كبير في اليمن، وما مؤلفات الإمام أبو حامد الغزالي التي انتشرت في اليمن إلا خير دليل على ذلك.

خلاصة القول، إنه على الرغم من البعد الجغرافي بين القطرين الإسلاميين، إلا أنه كان هناك وسائل للتواصل فيما بينهما، حتى أن تلك الوسائل كانت سبباً رئيساً في أن يتعرف اليمنيون على الحضارة والفكر السلجوقي من خلال ما كان يصلها من مؤلفات كبار علماء السلاجقة وفقهائها، الذين أسهموا بمؤلفاتهم في النهضة العلمية التي شهدتها اليمن في مدة الدراسة.

المبحث الثالث:

دور الأتراك السلاجقة في تطوير التعليم في اليمن:

شهدت اليمن في المدة موضوع الدراسة حركة علمية كبيرة ميزتها عن غيرها من البلاد الإسلامية، وجعلتها قبلة للعلماء القادمين من مختلف الأقطار الإسلامية، لاسيَّما بعد أن ذاع صيت بعض مدنها التي اشتهرت بالعلم والمعرفة مثل: زبيد التي يقول عنها الجندي[٢٧] أنها أكثر بلاد اليمن من زمن متقدم على زمنه فقهاء ومثقفين وعلماءَ محققين، إذ كانت ثالثة المدن العلمية في جزيرة العرب بعد مكة والمدينة لشهرتها العلمية[٢٨]، ويتبعها في ذلك: تعز وعدن وصنعاء والجند وصعدة والشحر وتريم وجبلة وغيرها من المدن اليمنية التي عرفت بأنها كانت مراكز للعلم والعلماء[٢٩]، وعلى الرغم من المجهود الذي كان يبذله علماء اليمن وفقهاؤها للنهوض بالتعليم وتطوير مناهجه العلمية إلا أننا نلاحظ أنه كان لعلماء السلاجقة إسهام كبير لا يمكن إنكاره في مجال تطوير النهضة العلمية في اليمن، ومن العجيب أن بعض هؤلاء العلماء السلاجقة لم يدخلوا اليمن، ولم يشاركوا بأنفسهم في تطوير التعليم فيها؛ وإنما جاءت مساهماتهم في تطوير التعليم عن طريق مؤلفاتهم التي دخلت اليمن في أوقات زمنية مختلفة، فكان لها ذلك التأثير العظيم في تطوير التعليم ومناهجه العلمية، لما كان لها من اعتقاد عند اليمنيين، لاسيَّما وأنها على المذهب الشافعي الذي يعتنقه أكثر اليمنيين، ومن أشهر مؤلفات علماء السلاجقة الذين برزت في اليمن، وكان لها إسهام كبير في التعليم خاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين مؤلفات الشيخ الكبير أبو إسحاق الشيرازي (٣٩٣ – ٤٧٦هـ)[٣٠] التي تعد من أوائل المؤلفات السلجوقية التي دخلت إلى اليمن وانتشرت فيها بعد أن لقيت لها رواجاً كبيراً بين سكانها بحكم التقارب المذهبي السني الذي جعل الكثير

من العلماء وطلبة العلم اليمنيين يتجهون إلى مطالعتها والاستفادة منها، ومما جاء فيها من مسائل علمية توافقية لا خلاف عليها عدى في بعض المسائل البسيطة، ويعد الشيخ أبو نصر البندنيجي(٣١) أول من أدخل مصنفات الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إلى اليمن، بحكم ما كان بينهما من صحبة، ويقول الجندي(٣٢) عنه أنه: ((لما قُدم بمصنفات الشيخ أبي إسحاق عكف الناس عليه، وأخذوها عنه، ومد ذلك إلى عصرنا {أي عصر المؤرخ الجندي} لم يكد أحد يتفقه من غيرها إلا بعد التفقه منها))، ومن أشهر مؤلفات الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في الفقه الشافعي التي انتشرت في اليمن: "كتاب التنبيه في الفقه" الذي يعد دراسته وحفظه في ذلك الوقت من الأمور الضرورية لبلوغ درجة العلماء، ونتيجة لأهميته كان يدرس في معظم مدارس اليمن ومساجدها، التي كانت مكتباتها تتنافس لاقتناء مثل هذا المؤلف القيم الذي يتفاخر الملوك والسلاطين بالحصول عليه وتدارسه وحفظه(٣٣)؛ إلا أن الدور الأكبر لكتاب التنبيه يظهر من خلال كون هذا الكتاب وغيره من كتب علماء السلاجقة كانت سبباً في أن تشهد اليمن حركة تأليف غير عادية بسبب قيام الكثير من علماء اليمن بالرد على ما جاء فيه من مسائل علمية ساعدت على زيادة حركة التأليف في اليمن، في حين اتجه بعضهم إلى إعادة شرح هذا الكتاب وغيره، وتبيين بعض النقاط الخلافية فيه، وتفسير بعض ألفاظه، مما شجع على أن يكون هناك تنافس علمي شديد بين علماء اليمن، وزيادة عدد الكتب التي أُولفت عليه، فكان ذلك سبباً في أن تصبح اليمن قبلة للعلماء من مختلف الأقطار الإسلامية بعد أن انتشرت فيها المكتبات المختلفة التي ضمت بين رفوفها أمهات المصادر العلمية القيمة(٣٤). كما اشتهرت لأبي إسحاق الشيرازي مؤلفات أخرى لا تقل أهمية عن كتاب التنبيه مثل كتاب: "المهذب" الذي بلغ صيته عموم بلاد اليمن، فصار مادة من الصعب على أي طالب علم في الفقه الحيد عنها وتركها؛ بعد أن أصبح في أوقات المقرر الرسمي لمدارس اليمن في الفقه(٣٥). كما كان لأبي إسحاق أيضاً من الكتب التي تدرس في اليمن كتاب: "اللمع وشرحها في أصول الفقه"(٣٦)، وهو من كتب أصول الفقه الشافعي التي تدرس في كثير من مدن اليمن وقراها لأهميته. إلا أن أكثر كتب علماء السلاجقة التي لقيت رواجاً كبيراً في اليمن بعد كتب الشيرازي كتب الإمام أبو حامد الغزالي، التي دخلت اليمن بعد مؤلفات الشيرازي لتكون منافسة لها، واعتمد عليها اليمنيون كثيراً في تدريسهم، فأصبحت لأهميتها العلمية جزء مهم من مناهجهم التعليمية التي يستوجب على كل طالب دراستها وحفظها وإلقائها؛ لأجل أن يتعدى المرحلة التي يدرسها إلى المرحلة التي تليها(٣٧)، ومن هذه الكتب: "كتاب الوسيط"، و "كتاب البسيط"، و "كتاب الوجيز"، و "كتاب إحياء علوم الدين"(٣٨)، و "كتاب الخلاصة في الأصول "(٣٩) وغيرها من المؤلفات العلمية التي تأثر بها اليمنيون، وصاروا يعتمدون عليها كمادة علمية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها في مدارسهم.

وكيفما كان الأمر، فقد تتابع ظهور علماء آخرين في اليمن ينسب أكثرهم إلى الأتراك أو إلى بعض البلاد التي كانت خاضعة للحكم السلجوقي(٤٠)، وقد أدى هؤلاء دوراً عظيماً في الحركة العلمية التي شهدتها اليمن، ومن ابرز هؤلاء الإمام أبي عبد الله محمد بن عبدويه المهروباني الذي دخل اليمن في

آخر المئة الخامسة، وأخذ بالتنقل بين مدنها ليستفيد منه الكثير من طلبة العلم(٤١). والشيخ أبو نصر هبة الله بن ثابت البندنيجي، الذي كانت كتبه مثل: "التبصرة في علم الكلام" تدرس في المدارس اليمنية لما لها من أهمية، ويذكر الأفضل الرسولي التركماني(٤٢) في ترجمته للفقيه أبو أحمد زيد بن الحسن بن ميمون الفائشي الحميري (ت:٥٢٨هـ) أنه كان يقرّي كتب البندنيجي في مدرسته، إضافة إلى غيره من فقهاء اليمن الذين اعتمدوا على مؤلفات البندنيجي في التعليم. وقد زادت أهمية تلك المؤلفات والطلب عليها بعد أن أُسست المدارس النظامية على يد بني أيوب في اليمن(٤٣) الذين كانوا قد تأثروا بالمدارس النظامية الشافعية التي كان قد أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في كلٍّ من بغداد وغيرها من الأمصار الإسلامية لوقف المد الشيعي، وقد وصل تأثير تلك المدارس إلى مصر في عصر بني أيوب(٤٤) الذين بمجرد سيطرتهم على اليمن سنة ٥٦٩هـ بنو المدارس التي لم تعرفها اليمن إلا في عهدهم(٤٥).

وعلى الرغم من الآثار الايجابية التي تركتها هذه المدارس ومؤلفات علماء السلاجقة على الحركة العلمية في اليمن؛ إلا أن التعليم وصل إلى ذروة تطوره في عصر بني رسول الذين باستقرارهم في اليمن، وإقامة ملكهم فيها سنة ٦٢٦هـ دخلت اليمن مرحلة علمية جديدة في حياتها لم يشهد لها التاريخ مثيل، لاسيَّما وأن معظم من حكموا هذه الدولة التركمانية لم يكونوا رجال سياسة فقط؛ بل جمعوا بين حب السياسة وحبهم للعلم، لهذا من الممكن أن نلاحظ أن من الأمور التي ساعدت على تطور الحركة العلمية في اليمن في عصر هذه الأسرة التركمانية هو قيام معظم أفرادها رجالاً ونساء بتعمير المنشآت التعليمية من مدارس ومساجد بملحقاتها وقاعاتها ومكتباتها ومساكنها الخاصة بالطلاب، وتجهيزها بكل ما تحتاج إليه من طواقم تدريسية، ومعيدين وموظفين(٤٦). فضلاً عن ما قدمه حكام هذه الدولة التركمان أنفسهم من إسهامات علمية تمثلت في اتجاههم إلى تشجيع البحث العلمي ودراسة أنواع العلوم، وتأليفهم الكتب المتعلقة بها، مكونين بذلك ثروة علمية أغنت المكتبة اليمنية خاصة والإسلامية عامة، وشكلت رافداً من روافد الحضارة الإسلامية في مختلف علومها الدينية والأدبية والطبية والزراعية والفلكية والتاريخية والعسكرية وغيرها(٤٧)، إضافة إلى اهتمامهم بالعلماء اليمنيين، والعلماء الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية، وتقريبهم منهم، ودعمهم بالمال لكي يكون ذلك دافعاً لهم نحو دراسة العلوم المختلفة(٤٨).

وعلى أية حال، فقد كان لعلوم الحضارة السلجوقية أثرها الواضح في الحركة العلمية في اليمن، إذ اعتمد فقهاء اليمن من معتنقي المذهب الشافعي – المذهب الرسمي لدولة بني رسول التركمان – وغيرهم على ما احتوته هذه الحضارة من كنوز أبدع في تأليفها علماء شُهِد لهم بالعلم والتدين والفقه والخبرة، فكانت مواد تلك المؤلفات هي المنهج الذي سار عليه علماء اليمن وتأثروا بها، لما احتوته من علوم ومسائل وتفاسير وأسانيد معترف بها عند علماء الأمة الإسلامية كافة، وقد بلغ من أهمية مثل تلك الكتب أن رفض بعض فقهاء اليمن وعلماؤها التدريس إلاّ بها، حتى أنها صارت ضرورة ملحة لإنجاح أي عمل تدريسيً في أي مدرسة أو مسجد، وقد سعى القائمون على مثل هذه المدارس إلى البحث عنها، وتوفيرها وشراء بعضها بمبالغ كبيرة؛ وإلحاقها بمكاتب خاصة بهم أو بمدارسهم، لتكون في متناول أيدي الجميع

سواءً أكان فقيهاً أم طالباً أو غير ذلك[٤٩]، وقد كان لانتشار مثل تلك المؤلفات دوره في تنشيط حركة التأليف في اليمن، التي ساهم الأتراك السلاجقة في داخل اليمن وخارجها على المشاركة بها، وبطرق مختلفة نحن بصدد دراستها.

المبحث الرابع:

إسهامات الأتراك السلاجقة في حركة التأليف في اليمن:

اشتهرت اليمن في المدة موضوع الدراسة بتنوع العلوم فيها وتفرعها إلى العديد من التخصصات الدينية والاجتماعية والإنسانية والعلمية وغيرها، ومن الأمور التي ساعدت على انتشار مثل تلك العلوم توافر المؤلفات والكتب العلمية المتعددة التي احتوت على المادة العلمية التي استطاع من خلالها طلاب العلم الحصول على كل ما يريدونه من صنوف العلم، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها علماء اليمن لتأليف مثل تلك الكتب، وإخراجها لتصبح في متناول أيدي جميع المهتمين من الطلاب وغيرهم، إلا إننا نلاحظ بأنه كان للأتراك السلاجقة في اليمن دور ملحوظ في توفير مثل تلك الكتب، ويظهر دورهم من خلال إسهاماتهم المشهود لها في حركة التأليف التي شهدتها اليمن في العصر الإسلامي، ولكننا قد نلاحظ أن تلك الإسهامات في بداية الأمر خاصة في القرنيين الخامس والسادس الهجريين لم تكن مباشرة، ولكنها جاءت على إثر دخول بعض كتب علماء السلاجقة إلى أرض اليمن، التي بدخولها حاول الكثير من علماء اليمن وفقهائها الإجابة على بعض المسائل الخلافية التي احتوتها مواد بعض هذه الكتب، وراح بعضهم يؤلفون الكتب للرد على ما جاء فيها أو لشرح الغامض منها أو الذي هو في حاجة إلى شرح تفصيلي رأوا ضرورة توضيحه، أو لتذييلها، وضبطها وتصحيحها[٥٠]، في محاولة لاستكمال ما نقص منها، وتقديم الجديد فيها، ليستفيد منها طلبة العلم والعلماء عامة ليس على مستوى اليمن بل على مستوى البلاد الإسلامية كافة، فكانت تلك الكتب السلجوقية سبباً في أن تشهد اليمن حركة تأليف كبيرة في تلك المدة الزمنية، ومن تلك الكتب والشروح التي كتبت بعد دخول كتب علماء السلاجقة إلى اليمن على سبيل المثال وليس الحصر: كتاب: " الدرر " للإمام أبا الحسن علي بن قاسم الشراحيلي، وهو كتاب مختصر بين فيه بعض مشكلات المهذب[٥١]. وكتاب:"الإيضاح في مذاكرة التنبيه" للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن منصور الأصبحي (ت:٦٩١هـ)[٥٢]. وكتاب: "شرح التنبيه" للفقيه محمد بن عبد الله العمراني(ت:٦٩٥هـ)[٥٣]. وكتاب:"التفقيه بشرح التنبيه" للعلامة محمد بن عبدالله الريمي(ت:٧٩٢هـ) الذي يعد من أشهر شروح التنبيه[٥٤]، وغيرها من الكتب التي أُلفت لشرح مؤلفات علماء السلاجقة.

وقد شكلت تلك المؤلفات ثروة علمية هائلة زادت من مكانة اليمن بين الأقطار الإسلامية الأخرى، ورفعت من مستواها العلمي، وسمعتها التي أخذ الناس يتناقلونها فيما بينهم، إلا أن ما زاد من هذه المكانة ما قام به التركمان من بني رسول من دور عظيم في تشجيع حركة تأليف الكتب في اليمن، وذلك من خلال ما كانوا يقدمونه من دعم مادي ومعنوي للعلماء والفقهاء والكتاب وطلبة العلم وغيرهم من المهتمين بالعلم، فضلاً عن ما كانوا يقومون به من احتفالات تكريماً لجهود هؤلاء العلماء التي يبدلونها، ومن هذه

الاحتفالات المهيبة، الاحتفال الذي أقامه السلطان الأشرف الثاني التركماني سنة ٧٨٨هـ للفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي عندما فرغ من تأليف مصنفه الشهير الموسوم بـ: " **التفقيه في شرح التنبيه** "، ويقع في أربعة وعشرين مجلداً، حملت في أطباق الفضة الملفوفة بأثواب الحرير، على رؤوس المتفقهين من بيت الفقيه بتهامة إلى مقام السلطان، مزفوفاً بالطبلخانة(٥٥)، فحباه الأشرف بجائزة سنية مقدارها ثمانية وأربعين ألف درهم، تكريماً له وللعلم الذي قدمه(٥٦)، كما يذكر أيضاً أن السلطان الأشرف احتفل سنة ٨٠٠هـ بانتهاء الفقيه العلامة اللغوي مجد الدين الفيروز أبادي (ت: ٨١٧هـ) من تأليف كتابه الفقهي الموسوم بـ: "**الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد**"، المكون من ثلاثة مجلدات، حملها ثلاثة رجال على رؤوسهم، وسط فرحة سائر الفقهاء والقضاة والطلبة الذين ساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان، وأجازه السلطان على مصنفه هذا بثلاثة آلاف دينار(٥٧). في حين حبا السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسولي التركماني (٨٣١-٨٤٢هـ) الفقيه شمس الدين علي بن محمد قحر (ت:٨٤٥هـ) على مصنفه الموسوم بـ: " **الظاهري** "، نسبه إلى السلطان الظاهر، بمئة مثقال وكساه، وأحسن إليه وقربه منه(٥٨)، مما يؤكد مدى اهتمام التركمان السلاجقة في اليمن بحركة تأليف الكتب في عصرهم.

وليس غريباً على أفراد هذه الأسرة الرسولية التركمانية السلجوقية أن تقوم بمثل هذا العمل الذي أرادت به وجه الله تعالى، وخدمة الإسلام والتعليم والمجتمع، لاسيَّما وأن بعض من أفرادها أسهموا أنفسهم في حركة التأليف هذه، فكان لهم المؤلفات والكتب المتنوعة التي لم تقتصر على علم أو فن بعينه، بل شملت فنوناً وعلوماً مختلفة، وصلت إلى حد تأليفهم لكتب: الطب البشري والبيطري، وكتب الأدوية، وكتب الزراعة، وكتب الحيوان، وكتب التاريخ الخاص والعام، وكتب السياسة، وكتب الجيش، وكتب الحرف والصناعات، وكتب التراجم، وكتب الأنساب وغيرها من الكتب التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما تميز به الأتراك عن غيرهم من إمكانيات علمية وعقلية هائلة، كانوا ينشرون طيبها حيث ما حلوا لينعم بها غيرهم من الأمم.

وتورد لنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا عناوين لبعض من تلك الكتب، وأسماء مؤلفيها ممن ألفوا في أكثر من فن وتخصص، ومن هؤلاء يوسف بن عمر الرسولي التركماني الشهير بالمظفر، ثاني سلاطين الدولة الرسولية التركمانية الذي ألَّف في الطب والتداوي بالأعشاب كتاب اسماه: "المعتمد في الأدوية المفردة"(٥٩)، وكتاب آخر في الطب اسماه:"البيان في كشف علم الطب للعيان"، وفي الصناعات والحرف كتاب:"المخترع في فنون الصنع"، وفي الفلك كتاب: "تيسير المطالب في تسيير الكواكب" ويسمى أيضاً: "المطالب في تسيير النيرين وحركات الكواكب"، وله أيضاً كتاب:"العقد النفيس في مفاكهة الجليس"(٦٠)، وفي الحديث النبوي جمع أربعين حديثاً:"عشرون في الترغيب، وعشرين في الترهيب"، وفي التاريخ كتاب: "السيرة المظفرية"(٦١)، وغيرها من الكتب التي نسبت إليه. في حين تنوعت إسهامات الأشرف عمر بن المظفر الرسولي التركماني (ت:٦٩٦هـ) في مجال التأليف فكان له في مجال الطب البشري كتاب:"الجامع في الطب"(٦٢)، وكتاب:"شفاء العليل في الطب"(٦٣)، وفي مجال الطب البيطري

كتاب:"المغنى في البيطرة"[٦٤]، وفي مجال العقاقير الطبية كتاب: "الإبدال لما علم في الحال في الأدوية والعقاقير"[٦٥]، وفي الفلك عدد من الكتب هي: "الإسطرلاب في الفلك"، وكتاب: "التبصرة في علم النجوم"[٦٦]، و كتاب: "الدلائل في معرفة الأوقات والمنازل"[٦٧]، وفي الزراعة كتاب:"التفاحة في علم الفلاحة"[٦٨]، وكتاب:"ملح الملاحة في معرفة الفلاحة"[٦٩]، وفي الأنساب ألّف عدداً من الكتب، منها: "طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب" وَ "تحفة الآداب في التواريخ والأنساب" وَ "جواهر التيجان في الأنساب"[٧٠].

كما ساهم المؤيد داود بن يوسف الرسولي التركماني (ت: ٧٢١هـ) في حركة تأليف الكتب في اليمن بعدد من المؤلفات العلمية القيمة بعد قراءته لعدد من كتب علماء السلاجقة وتأثره بها، مثل كتب الإمام أبي إسحاق الشيرازي، مما ساعده على أن يبدع في كل فن، ومن إبداعاته اختصاره لكتاب: "الجمهرة في البيزرة" الذي بين فيه ما لم يبينه صاحب الكتاب نفسه، وله كتاب: "شرح طردية أبي فراس الحمداني"، وله كتاب في الشعر نقل فيه جانب من أشعار الجاهلية والمخضرمين وغير ذلك[٧١]، كما يعد المجاهد علي بن المؤيد الرسولي التركماني (ت:٧٦٤هـ) أيضاً ممن أسهموا بنصيب لا بأس به في مجال تأليف الكتب في اليمن، فكان من أشهر مؤلفاته كتاب: "الأقوال الكافية والفصول الشافية"، إضافة إلى كتاب آخر في مجال الطب البيطري وركز فيه على الخيول وأوصافها وأنواعها، وما قد يصيبها من أوبئة وأمراض، وكيفية معالجتها[٧٢]، وله كتاب عن الفلاحة أطلق عليه اسم: "الإرشاد في علم الفلاحة"[٧٣]، وله الكثير من الأشعار الجميلة[٧٤].

لقد كان لتنوع مدارك بني رسول التركمان في مختلف الفنون والعلوم أثره في تنوع مشاركاتهم ومؤلفاتهم العلمية، وقد نلاحظ ذلك من خلال الإسهامات التي قدمها العباس بن علي المجاهد التركماني المعروف بالأفضل (ت: ٧٧٨هـ) الذي صنف في مجال تاريخ اليمن وتراجم رجالها ووزرائها وعلمائها وفقهائها كتاب: "العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية"، ثم اتبعه بكتاب: "نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون"، وجعله ذيلاً لكتاب العطايا السنية. كما ألف أيضاً في التاريخ كتاب: "نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخيار"، اختصر فيه كتاب: "كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار" للشريف عماد الدين إدريس بن علي الحمزي (ت:٧١٤هـ)، وكتاب: "مختصر تاريخ ابن خلكان"، اختصر فيه كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وبحكم عمله السياسي ألف كتاباً في السياسة اسماه: "نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء"، واسهم في مجال التطوير الزراعي بكتاب: " بُغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين"، ومن أشهر إسهاماته في مجال الأنساب كتاب " بُغية ذوي الهمم في أنساب العرب والعجم"، وكتاب: "رسالة في الأنساب"، كما كان له من الكتب: "الدر والعقيان"، و كتاب: "الوسائل في ألغاز المسائل"، ويسمى "الألغاز الفقهية"، وكتاب: "دلائل الفضل في علم الرمل"[٧٥]، كما ألف في القتال وفنون الحرب وخططها كتاب: "رسالة في القتال"[٧٦]. في حين أسهم إسماعيل بن العباس الرسولي التركماني المعروف بالأشرف الثاني في الحركة العلمية التي شهدتها اليمن، وكان له عدد من المؤلفات في تاريخ

اليمن والتاريخ العام وغيرها، ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ، كتاب: " فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن"[٧٧]، وكتاب: " العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك"، كما كان له مؤلفات في "النحو" ومؤلفات في "علم الفلك" وغيرها[٧٨].

لم تكن تلك المؤلفات إلاّ نماذج للإسهامات التي قدمها الأتراك السلاجقة في اليمن، ولولا محدودية صفحات هذا البحث لتوسعنا في ذلك، ولأظهرنا الدور الذي قدموه في مجالات حضارية أخرى شهد بها التاريخ لهم، لاسيما وأنهم لم يكتفوا بذلك العطاء الطيب فقط بل اتجهوا إلى رفع مكانة اليمن العلمية ببحثهم عن أمهات الكتب ذات التخصصات المختلفة، ونسخ النادر منها، مكونين بذلك المكتبات النفيسة التي جعلت من اليمن محط أنظار الباحثين والعلماء وطلاب العلم.

المبحث الخامس:

دور الأتراك السلاجقة في إنشاء المكتبات:

مما لا شك فيه إن ما قدمه الأتراك من إسهامات علمية في اليمن كان قد أسس له مؤلفات كبار علمائهم وفقهائهم التي دخلت إلى اليمن في أوقات زمنية متفاوتة، وقد كان لانتشار تلك المؤلفات في عموم بلاد اليمن واحتفاظ العديد من الناس بالأصول منها، دور في قيام بعض التركمان من بني رسول وغيرهم بالبحث عن تلك الأصول وجمعها ونسخ النادر منها، مما يبين لنا الدور العظيم الذي بذلوه للقيام بجمع الكتب وإنشاء المكتبات:

١- **جمع الكتب ونسخ النادر منها**:

لم تكن مسألة جمع الكتب والبحث عن النادر منها من الأمور السهلة التي من الممكن أن يقوم بها أي شخص مهتم بذلك، بل على العكس من ذلك، فإن جمع الكتب من الأعمال الشاقة التي تتطلب الجهد والمال والعزيمة؛ لاسيما إذا ما علمنا أن بعض تلك الكتب لم تكن متوفرة في اليمن وإنما كانت موجودة خارجها، وهو ما دفع بالكثير من اليمنيين إلى الرحيل إلى خارج اليمن، وتحمل عناء السفر ومشاقة لجمع النادر من الكتب، أو المؤلفات الجديدة منها، ومن أشهر من عُرف بذلك: الشيخ أبو عبد الله علي بن محمد بن غليس العريقي (ت بعد سنة: ٦١٠هـ) الذي أدخل الكثير من الكتب العلمية النادرة إلى اليمن بعد أن جمعها من زياراته العلمية المتكررة إلى بيت المقدس وغيرها[٧٩]، والفقيه أبو الخير منصور بن أبي الخير الشماحي السعدي الحضرمي (ت: ٦٨٠هـ) الذي عرف عنه كثرة سفره إلى مكة وجمعه لخزانة من الكتب لم يسبقه أحدٌ من نظرائه إلى جمعها، وإدخالها إلى اليمن، ويقال أنه كان فيها مائة أمٍ سوى المختصرات[٨٠]. ولم يقتصر هذا الأمر فقط على اليمنيين بل شارك فيه بعض التركمان الذين كانوا يعيشون في اليمن أمثال: أبي بكر ابن علي الرضي بن جعفر التركماني الذي اشتهر بحبه لفعل الخير، واهتمامه بجمع الكتب وشرائه للكثير منها ووقفها على المكتبات التي كانت موجودة في المساجد وملحقاتها من المدارس وغيرها[٨١]. كما عرف عن أبو الخير فاتن بن عبد الله المعري التركماني

أيضاً حبه لبناء المساجد[٨٢] التي كانت في ذلك الوقت تجهز بكل ما تحتاج إليه من قاعات ومكتبات وغيرها.

وعلى الرغم من الجهود الحثيثة من قبل بل بعض اليمنيين وبعض الأتراك السلاجقة الهادفة إلى تكوين ثروة علمية عظيمة في اليمن، إلا أن ذلك لم يتحقق بشكل جاد وحقيقي إلا بعد قيام الدولة الرسولية التركمانية في اليمن، حيث سعى حكامها منذ تأسيسها إلى إرسال البعثات المتواصلة إلى حواضر العالم الإسلامي بما فيها بلاد السلاجقة، للبحث والاطلاع والجمع لأمهات الكتب، ودفعوا الأموال الباهظة للحصول عليها، وإيصالها إلى اليمن، لدراسة موادها والاستفادة منها، وتصحيح ما نسخ منها في اليمن، بعد التأكد من صحة معلوماتها، وكان السلطان المظفر الأول التركماني من أكثر من اهتم بذلك، فكان يرسل البعثات المتتالية إلى الديار المصرية، وإذا جاءت بما لم تطب به نفسه جهز غيرها إلى ما هو أبعد من ذلك للحصول على أمهات المصادر[٨٣]، مما يدلنا مدى الجهود التي قام بها التركمان في هذا الجانب، في حين يذكر أن السلطان المؤيد داود التركماني جمع من مصنفات العلم على اختلاف أنواعها من علم قراءاتها وقرائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها وحقيقتها وأدبها، ومعرفة أيام عربها من تاريخها ونسبها وأشعارها على اختلاف طبقاتها شيئاً كثيراً[٨٤]، حتى أنه لم يكتفِ بذلك بل سعى إلى نسخ النادر منها، ليكون لها نُسخ متعددة يمكن الاحتفاظ بها أو توزيعها على المكتبات المعروفة في اليمن في ذلك الحين لتكون في متناول أيدي جميع المهتمين من العلماء والمدرسين والطلاب، ويذكر ابن عبد المجيد[٨٥] أنه كان بقصر السلطان المؤيد التركماني ما ينيف على عشرة من النسَّاخ ينسخون أمهات الكتب التي ترفع إلى خزانته العالية بعد التأكد من صحتها ومقابلتها بالأصل. كما يعد الأمير أسد الدين محمد بن حسن الرسولي التركماني (ت: ٦٧٧هـ) من أشهر بني رسول جمعاً للكتب، وعُرف عنه نسخه للعديد منها ومن المصاحف والمقدمات، حتى أنه بعد انجازها يقدمها لمكتبات المدارس التي قام ببنائها[٨٦]، لهذا كان لكل ذلك الاهتمام بجمع الكتب ونسخ العزيز منها من قبل التركمان سببٌ رئيسٌ نحو إنشاء المكتبات في اليمن.

٢- **<u>إنشاء المكتبات النفيسة:</u>**

إن المتتبع لدراستنا هذه منذ منتصف القرن السادس الهجري قد يلاحظ أن حاجة اليمنيين إلى الكتب كانت ضرورة ملحة، لاسيما بعد أن زادت أعداد المدارس النظامية التي كان قد أنشأها بنو أيوب منذ دخولهم إلى اليمن[٨٧]، التي كانت في حاجة إلى مكتبات كبيرة ملحقة بها، لذلك سعى اليمنيون منذ ذلك الوقت إلى البحث عن هذه الكتب، وجمعها مثلما ذكرنا سابقاً، وعملوا على تجهيز قاعات خاصة ملحقة بالمدارس أو المساجد التي بنوها، وجهزوها بما توافر لهم من كتب لتكون في متناول أيدي جميع المدرسين والعلماء والطلاب الدارسين في هذه المدارس، ومن الملاحظ أن كتب علماء السلاجقة مثل كتب الإمام أبو حامد الغزالي والإمام الشيرازي كانت من أكثر الكتب التي احتوتها رفوف هذه المكتبات، لاعتماد معظم هذه المدارس في مناهجها التعليمية على ما جاء فيها من معلومات، وعندما قامت الدولة

الرسولية في اليمن أنشأ سلاطينها التركمان المكتبات الضخمة التي احتوت على أمهات الكتب، وراحوا يرسلون المختصين إلى الأقطار العربية والإسلامية لكي يشتروا النادر منها بأثمان باهظة، وألحقوها بمكتبات قصورهم ودواوينهم الخاصة، وبالمدارس والمساجد التي أنشئوها، لتكون عوناً لطلاب العلم القادمين من مناطق اليمن المختلفة أو من خارجها ممن سمعوا بما تحتويه هذه البلاد من كنوز العلم والمعرفة، وهو ما نهجه أيضاً العديد من علماء اليمن وفقهائها الذين اقتدوا بحكامهم التركمان وهموا بشراء الكتب العلمية، وأنشئوا المكتبات الخاصة بهم،كما أنشئوا غيرها في المساجد والمدارس التي كانوا يدرسون بها[٨٨].

ويعد السلطان المؤيد داود التركماني الذي وُصِف بأنه كان مشاركاً في كثير من العلوم والفنون، من أكثر بني رسول جمعاً لخزائن الكتب التي كان يقدمها لدور العلم والمساجد التي ينشئها، ويقال إنه جمع من مصنفات العلم على اختلاف أنواعها من قراءَاتها وقرائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها وحقيقتها وأدبها ومعرفة أيام عربها من تاريخها ونسبها وأشعارها على اختلاف طبقاتها شيئاً كثيراً[٨٩]، ويذكر أن خزانته جمعت على ما يقال – من جهة التقريب – ما ينيف على مئة ألف مجلد[٩٠]، وقد قدم من أمهات تلك الكتب على مدرسته المؤيدية بتعز فقط خزانة من الكتب النفيسة مشتملة على مصنفات غريبة المعاني من التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو والتصريف، وبها أمهات الكتب من كل فن غريب، وبها تفسير القرآن العظيم للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المسمَّى بمفتاح الغيوب (ت: ٦٠٦هـ)، وهو نادر للوقوع،... وبها نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت:٤٧٨هـ)، وما بقي من الكتب فعظيم الشَّأن نادر في بابه[٩١]، كما أسهم السلطان الأشرف إسماعيل التركماني في جمع أمهات المصادر وأنشأ المكتبات التابعة لدور العلم والمساجد التي بناها، ومن بينها المكتبة التي قدمها لمدرسته الأشرفية في تعز، والتي ضمت الكثير من الكتب النفيسة في كل فن وعلم[٩٢]. في حين سلك رجال الدولة الرسولية التركمانية وأمراؤها المحبون لفعل الخير، ونشر العلم طريق سادتهم فيما يخص شراء الكتب وإنشاء المكتبات، ومن أبرز هؤلاء الأمير ميكائيل بن أبي بكر الموصلي (ت: ٦٤٨هـ) والي الجند في تعز في عهد السلطان المنصور التركماني الذي قدم الكثيرة من الكتب الموقوفة على مدرسته التي عمرها في الجند[٩٣]. والقاضي الرشيد ذو النون بن محمد بن ذي النون المصري (ت:٦٦٣هـ)، الذي جمع كتباً كثيرة اشتملت على الكثير من العلوم العقلية والنقلية قدمها لمدرسته الرشيدية التي بناها بتعز، وأوقفها عليها[٩٤]، والطواشي جوهر بن عبد الله المجاهدي (ت: ٧٥٥هـ)، الذي قدم عدة كتب جليلة لمسجده الذي بناه في تعز، ومدرسته التي بناها في زبيد[٩٥]. كما أنشاء والي الجند أبو بكر بن علي الرضي سنة ٧٢٤هـ مكتبة ضمت كتباً عديدة في مسجد الأشاعر بزبيد. وكذلك قدم والي عدن وزبيد في عهد المظفر التركماني غازي بن المعمار كتباً كثيرة لنفس المسجد وأوقفها عليه. ويذكر أن الأمير عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحيد الكوفي (ت: ٧١٨هـ)، كان يمتلك خزائناً من الكتب

في النحو واللغة وفي مختلف العلوم ليس لها نظير كان قد ورثها عن والده، ونتيجة لحبه للعلم وطلبته قدم هذه الخزائن لطلبة العلم في صنعاء بعد أن أوقفها لهم[٩٦].

ويتبين لنا من خلال ذلك أن اليمنيين وغيرهم من الأجناس قد تأثروا بالأعمال العلمية التي قدمها الأتراك السلاجقة في اليمن، فنهجوا نهجهم من حيث إنشاء دور العلم والمساجد، وتأليف الكتب، وإنشاء المكتبات، وتطوير التعليم، ودعم المحبين له، مما أنعكس إيجاباً على التعليم في اليمن.

ونصل هنا، إلى إنه كان للأتراك السلاجقة الذين انتقلوا إلى اليمن وعاشوا فيها إسهام كبير في تطوير الحركة العلمية؛ بتأليف الكتب، وجمع النادر منها، وإنشاء المكتبات التي احتوت على أمهات هذه الكتب، فكان ذلك سبباً إلى أن تتوجه أنظار الكثير من العلماء والباحثين إلى هذا القطر الإسلامي الذي ذاع صيت مدنه العلمي بينهم ليحتل مكانة لا تقل عن المكانة التي احتلتها غيرها من مدن حواضر العالم الإسلامي مثل بغداد والقاهرة ودمشق وخراسان وغيرها.

النتائج:

لقد توصلنا في بحثنا المتواضع هذا والموسوم بـ: إسهامات الأتراك السلاجقة في حركة التأليف وإنشاء المكتبات في اليمن ٥٦٩– ٨٥٨هـ إلى عدد من النتائج والاستنتاجات أهمها:

١- إن امتداد التأثيرات العلمية والفكرية التركية السلجوقية قد وصلت إلى اليمن – أولاً– عن طريق مؤلفات كبار علماء السلاجقة، على الرغم من البعد المكاني بين القطرين.

٢- إنه كان للمذهب الشافعي الذي كان يعتنقه جزء كبير من سكان اليمن، كما كان يعتنقه السلاجقة دور فيما لقيته كتب علماء السلاجقة من قبول بين الأهالي في عموم بلاد اليمن.

٣- إنه كان لتلك المؤلفات السلجوقية تأثير واضح فيما شهدته اليمن من حركة تأليف الكتب خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين، والتي كان الهدف منها شرح مثل تلك المؤلفات، والرد على بعض المسائل الخلافية فيها، وتوضيحها، مما ساعد على انتشار أعداد كبيرة من تلك المؤلفات التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية في اليمن، وإنشاء المكتبات.

٤- إن مؤلفات علماء السلاجقة التي دخلت اليمن في المدة موضوع الدراسة خلقت نوعاً من روح التنافس العلمي بين العلماء اليمنيين الذين أخذوا في التسابق لكتابة مثل تلك المؤلفات، ليستفيد منها طلبتهم، وفقهاء المذهب الشافعي.

٥- إن مما زاد من مكانة الأتراك السلاجقة العلمية تولي حكم اليمن من قبل أسرة تركمانية جاء أفرادها من بلاد السلاجقة ليرفعوا من شأن اليمن، وليوصلوها إلى مستوى الدول التي تشد إليها رحال العلماء والدارسين والباحثين عن المعرفة.

٦- إن مما ميز أفراد الأسرة الرسولية التركمانية أن معظم حكامها عرفوا بأنهم كانوا رجال علم ومعرفة لمختلف الفنون والعلوم، حتى أن دولتهم التي أنشئوها في اليمن؛ أقاموها على أسس علمية ومعرفية، ساعدت على نجاح هذه الدولة وطول عمرها.

٧- إن معظم بني رسول التركمان بحكم ميولهم العلمي أسهموا في الحركة العلمية التي شهدتها اليمن، فشاركوا في بناء المدارس، وتأليف الكتب، وأنشئوا المكتبات في محاولة للرقي بالتعليم في اليمن والرفع من مستواه.

٨- لقد مثل التركمان من بني رسول قدوة حسنة لجميع اليمنيين الذي تأثروا بهم، وبما قدموه من جهود أرادوا بها خدمة العملية التعليمية في اليمن، فكثر في اليمن في عصرهم العلماء والفقهاء والمتعلمين والطلاب والمؤلفين والكتاب، والهاويين لجمع الكتب، والمتبرعين لشرائها للمدارس والمساجد، محبة في العلم واقتداء بسيرة حكامهم التركمان.

٩- إن ما شهدته اليمن في المدة موضوع الدراسة من حركة تأليف للكتب وإنشاء للمكتبات التي احتوت على أمهات المصادر وفي مختلف العلوم لم تشهده اليمن قبل ذلك ولا بعدها خلال العصر الإسلامي، وما تحتويه المكتبة اليمنية اليوم من مؤلفات تعود إلى تلك الحقبة التاريخية المزدهرة علمياً، وما زال في إعداد المفقود من تلك المؤلفات خير دليل على ذلك.

الهوامش والتعليقات:

(١) تنسب الدولة السلجوقية إلى رجل عُرف باسم سلجوق، وكان من زعماء عشائر الغُز التركمانية، وقد هاجرت هذه العشائر من الغز التركمان إلى بخارة لتستقر فيها، وهناك برز أحد أحفاد سلجوق وكان يعرف بطغرل بك وتمكن بحنكته من السيطرة على إقليم خراسان وحكمه سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، وقد استغل طغرل بك الخلاف الذي كان قائماً بين البويهيين والخلافة العباسية، وذلك بعد أن استعان به الخليفة القائم بأمر الله العباسي في بغداد ضد البويهيين الذين طغوا وبغوا ضد الخلافة العباسية، وقد وجدها طغرل بك فرصة للسير إلى بغداد والقضاء على الوجود البويهي هناك، لينال رضاء الخليفة القائم بأمر الله الذي نصبه ملكاً، وسلمه السلطة على البلاد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، فخضعت له الكثير من البلاد العربية، وقد كان للوجود السلجوقي التركماني في البلاد العربية دورة في تمسك السلاجقة الشديد ومن جاء بعدهم من أبنائهم وأحفادهم بالإسلام وميلهم إلى أهل السنة والجماعة، ونشرهم للعلوم المختلفة التي ساعدت على تقدم وازدهار الحضارة الإسلامية بصنوفها المختلفة والمتنوعة. **الموسوعة العربية العالمية**، ج١٣، ص٤٥.

(٢) عن قدرات الأتراك السلاجقة، وتأثيراتهم السياسية والعسكرية في اليمن، انظر: هُديل، طه حسين عوض، **الأثر السياسي والعسكري للأتراك السلاجقة في اليمن بين القرنيين السابع والثامن الهجريين**، بحث تمت المشاركة به في المؤتمر الدولي الأول لدولة السلاجقة، المنعقد في جامعة أرجياس / مدينة قيصري – الجمهورية التركية، في المدة من ٢٧ – ٣٠ سبتمبر ٢٠١٠م، ص١، ٩ – ١٥.

(٣) يفسر لنا ابن منظور أن أصل الغُز هو جنس من الترك. **لسان العرب**، ج١٠، (مادة غز). وكان هذا الجنس من الترك يسكن منغوليا في القرن السادس الميلادي، بعد أن أقامت قبائله التي يقدر بعضهم عددها بأربعة وعشرين قبيلة بتكوين دولة لهم هناك، إلا أن سقوط دولتهم فيما بعد أجبرهم على النزوح غرباً إلى الأراضي الواقعة شرقي بحر قزوين، وهناك عاشوا بشكل جماعات توسعت كل واحدة منها في اتجاه ، ونشطت حركة الهجرة بينهم إلى بلاد عديدة في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، فكان منهم فيما بعد السلاجقة والأتراك العثمانيون،وشكلوا لاحقاً جنداً

مرتزقة يستعين بهم الحكام والملوك في الحروب وغيرها، لما تميزوا به من قوة وشجاعة وخبرة في قيادة الجيوش وتحريكها. انظر: بارتولد، ف. ف، **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، ترجمة: أحمد سعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٦ وما بعدها.

(٤) هو أبو الطامي جياش بن نجاح الحبشي صاحب تهامة اليمن الملقب بالملك المكين، حارب الصليحين مدة من الوقت وانتصر عليهم، وملك تهامة إلى أن توفى سنة ٤٩٨هـ وقيل سنة ٥٠٠هـ، وكان ملكاً شجاعاً شهماً كريماً شاعراً فصيحاً، من مؤلفاته كتاب: ((المفيد في أخبار زبيد))، وهو كتاب مفقود. بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله (ت: ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، **تاريخ ثغر عدن**، ج٢، مطبعة: بريل، ليدن، ١٩٣٦م، ص٤٣ – ٤٧.

(٥) هو السلطان أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، تزوج الملكة السيدة بنت أحمد بعد وفاة زوجها الملك المكرم، وقام معها بشئون الملك والدعوة وتوفي سنة ٤٩٥هـ. انظر: الهمداني، حسين بن فيض الله، **الصليحيون والحركة الفاطمية (من سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ)**، طبعة مصر، ١٩٥٥م، ص١٥١ – ١٦١، ٢٣٩.

(٦) عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي، **تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط٣، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ١٩٨٥م، ص١٧٣.

(٧) ذؤال: وادٍ يأتِ من بلاد ريمة، ويقع ما بين وادي سهام شمالاً ووادي رِمَع جنوباً، ويمر بجوار بيت الفقيه والمنصورية. الأكوع، إسماعيل بن علي، **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت / مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص١٢٤.

(٨) زبيد: وادٍ به مدينة عامرة في تهامة كانت إلى عهد قريب زاخرة بالعلماء وطلبة العلم،كما كانت زاخرة بخزائن المخطوطات. الأكوع، المرجع السابق، ص١٣٨.

(٩) عمارة، **تاريخ اليمن**، ص١٧٣ – ١٧٤.

(١٠) وقيل أيضاً أن آل رسول دخلوا اليمن فيما بعد مع قوات سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م،ويذكر الخزرجي نفسه الرأيين الذي يناقض أحدهما الآخر. انظر: الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت:٨١٢هـ / ١٤٠٩م)، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، ج١، عنى بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، مطبعة: الهلال، القاهرة، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ص٢٨، ٣٧؛ **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**، مخطوطة مصورة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب ١/٦، صنعاء، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، **ق٩٦أ**.

(١١) تنسب الدولة الرسولية التركمانية إلى مؤسسها نور الدين بن عمر بن علي بن رسول، ورسول هو لقب أطلق على جد حكام آل رسول، وتذكر المصادر أن اسمه الحقيقي: محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحي بن رستم الغساني المجكي التركماني، وقد عرف عن محمد بن هارون جد بني رسول الشجاعة والرئاسة بين قومه، فقربه الخليفة العباسي المستنجد بالله (٥٦٦ – ٥٧٥هـ / ١١٧٠ – ١١٧٩م)، وأصبح رسوله إلى الشام ومصر، وصار بذلك من أكثر المقربين إلى الخليفة، لدرجة رفع الحجاب بينه وبين الخليفة، وقد جعلت هذه السفارة الجميع يطلقون على محمد بن هارون التركماني اسم رسول الخليفة، وطغى اسم رسول على الاسم الحقيقي، وأصبح لا يعرف إلاّ به بين الناس، وقد انتقل لأسباب لم تذكرها المصادر إلى الشام، ومنها إلى مصر، وهناك استقر بمن معه من الأولاد حتى قامت الدولة الأيوبية، وإذا وقفنا على جذور هذه الأسرة نجد أن أصولها تعود إلى بلاد الغُز التركمان، وهو أمر لا نقاش حوله على الرغم من اختلاف وجهات نظر المؤرخين حول ذلك، ويعد ابن حاتم أول من أرخ لآل رسول، وأول من أشار إلى نسبهم التركماني، في حين تعد أراء من جاء بعده من المؤرخين مدفوعة من قبل بني رسول، لاسيما وأنهم أرادوا من وراء نسب أصولهم إلى اليمن أو إلى غيرها

تجنيب أنفسهم الدخول في خلاف مع أهل اليمن حول حكمها، وكسب دولتهم الصفة الشرعية لحكم اليمن، لذلك تعد الدولة الرسولية التي قامت في اليمن دولة تركمانية النسب، وعلى اعتبار إن نسب السلاجقة يعود إلى الغُز من التركمان، ونسب آل رسول أيضاً يعود إلى الغز التركمان، فمعنى ذلك أن هناك وحدة في نسب الدولة الرسولية والدولة سلجوقية، فكلاهما من الغُز التركمان، بل قد يكون آل رسول فرع من السلاجقة، ومن هنا نجد أن نسب الرسوليين ونسب السلاجقة لا يختلف حوله اثنان، لأن كلاهما تركمان غُز. انظر: ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت.د: ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، **السمط الغالي الثمن السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق: ركس سمث، لندن، ١٩٧٤م، ص١٠– ١١؛ ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م)، **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، ط١، دار الحكمة، صنعاء، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٨٥؛ الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٢٦، ٢٧؛ **العسجد المسبوك**، ق٩٥ب؛ الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق: ك. د. ستر ستين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص٣١، ١٠٠.

(١٢) للمزيد من التفاصيل عن دور بني رسول التركمان في عصر الدولة الأيوبية في اليمن انظر: ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص١٠٥، ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٣.

(١٣) انظر: الملك الأشرف، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت: ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)، **فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التابعة ملوك العصر والزمن**، (الباب الخامس)، تحقق: علي حسن معيلي، رسالة دكتوراه، جامعة تونس، تونس، ٢٠٠٥م، (الباب الخامس)، ص١٢٣ – ٣٢٦؛ الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ٤٦.

(١٤) الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ج٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص٥٤١؛ الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ق١٩٥أ – ١٩٦ب؛ بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت: ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، **قلادة النحر في وفيات الدهر**، ج٣ ، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص٢٨٦٠.

(١٥) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص٢١٩، ٢٤٩؛ الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج٢، ص٤١، ٩٦ – ٩٧.؛ **العسجد المسبوك**، ق٨٥أ – ب؛ مجهول (ت. د: ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطبعة: الكاتب العربي، دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص٢٥٥.

(١٦) **الإقطاع:** في اللغة التمليك والإرفاق، يقال: أستقطع فلان الإمام قطيعة فاقطعه إياها، إذا سأله أن يقطعها له، ويبينها ملكاً فأعطاه إياها. ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، (مادة قطع). وكان من الأنظمة السائدة في عصر بني رسول.

(١٧) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج٢، ص٣٠٢؛ **العسجد المسبوك**، ق٢٦٩ب.

(١٨) عن بعض هؤلاء الأتراك السلاجقة انظر: الجندي **السلوك**، ج٢، ص١٦٥؛ **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن**، تحقيق: علي مطهر حمود العلماني، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٧٨؛ الملك الأشرف، **العطايا السنية**، ص٥٢٥.

(١٩) هُديل، طه حسين عوض، **الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م)**، ط١، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠١٠م، ص٥٥ – ٥٨.

(٢٠) **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٦٩ – ٧٠.

(٢١) **السلوك**، ج٢، ص٣٤٨.

(٢٢) هو الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، وقد نسبه البعض إلى غزاله، وهي بلدته التي ولد فيها، وهي نسبة صحيحة من حيث اللغة، والبعض نسبه إلى الغزَّالي، نسبة إلى الغزل حرفة والده التي كانت يكتسب منها وهي نسبة صحيحة، وقد ولد بطوس، مدينة بخراسان شمال شرق إيران وتسمى الآن بشهر، سنة ٤٥٠هـ، وتربى وتعلم فيها، ثم قدم نيسابور وهي عاصمة السلجوقيين ومدينة العلم بعد بغداد، وهناك اجتهد في العلم بعد ملازمته لكبار علمائها حتى برع وبرز نجمه، وكانت له الكثير من المؤلفات التي اشهرها: البسيط في فروع المذهب، والوسيط (ملخص من البسيط)، والوجيز، وإحياء علوم الدين، والمستصفي في علم الأصول وغيرها الكثير، وقد توفي سنة ٥٠٥هـ. للمزيد عن الإمام الغزالي انظر: الصلابي، علي محمد، **الإمام الغزالي وجهوده في التجديد والإصلاح**، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص٣٣ – ٤٢.

(٢٣) الجندي، **السلوك**، ج١، ص٢٩٧، ٣٤٠، ٣٧٥، ٤٣٩؛ ج٢، ص١٨٧، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٦٥، ٤٣١، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٣.

(٢٤) هُديل، طه حسين عوض، **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى ودورها في إثراء الحضارة الإسلامية بالإنجازات المعرفية المختلفة من القرن السابع إلى منتصف القرن التاسع الهجري/ القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي**، بحث تمت المشارك به في مؤتمر الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م، ص١٦.

(٢٥) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٢٧٨.

(٢٦) يذكر أن المنصور نور الدين عمر بن رسول التركماني مؤسس الدولة الرسولية التركمانية في اليمن كان حنفي المذهب فرأى –كما ورد عنه– النبي ﷺ فقال له: يا عمر صر إلى مذهب الشافعي، فأصبح ينظر في كتب الشافعي ويعتمد مذهبه. الجندي، **السلوك**، ج١، ص٢٩٧. وهو المذهب الذي كان عليه السلاجقة.

(٢٧) **السلوك**، ج١، ص٤٧٣.

(٢٨) الحبشي، عبد الله محمد، **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول**، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٠م، ص٥٩.

(٢٩) البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، **طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٧ وما بعدها.

(٣٠) هو الشيخ جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله ، الشيرازي، الفيروزأبادي الشافعي؛ ولد سنة ٣٩٣هـ، تفقَّه بشيراز على يد جماعة من الأعيان منهم أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن أمين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخي وغيرهم، وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً ببغداد، وانتفع به، وناب عنه في مجلسه، ورتبه معيداً في حلقته، وصار إمام وقته ببغداد، ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد، سأله أن يتولاها، فلم يفعل، فولاها لأبي نصر ابن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة، ثم أجاب إلى ذلك فتولاها، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٤٧٦هـ، سمع الحديث من أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الحافظ وأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازى وغيرهم. وصنف التصانيف المباركة المفيدة، منها: المهذب في المذهب، والتهذيب في الفقه شرحه العراقي، والتنبيه في الفقه، واللمع وشرحها في أصول الفقه، والنكت في الخلاف، والتبصرة في أصول الفقه، والمعونة في الجدل، وطبقات الفقهاء، ونصح أهل العلم وغير ذلك، وانتفع به خلق كثير. للمزيد انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير**

والأعلام، ج٣٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص١٤٩ – ١٥٠؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ج١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص٢٩.

(٣١) هو أبو نصر هبة الله بن ثابت البندنيجي نسبة إلى بلد بالقرب من البصرة تسمى بندنيجين، تفقه بالشيخ أبي إسحق الشيرازي، وكان سهل المقابلة لين الجانب صبورا على الإقراء، وكانت وفاته على رأس ٥٠٠هـ. انظر: الجندي، **السلوك**، ج١، ص275.

(٣٢) **السلوك**، ج١، ص268.

(٣٣) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٤٤٢؛ ج٢، ص٧٧.

(٣٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص297؛ ج٢، ص٥٩، ٦٠، ٦٩، ٩١، ١٨٨، ٢١٨.

(٣٥) الحبشي، **حياة الأدب اليمني**، ص٩٢.

(٣٦) الجندي، **السلوك**، ج١، ص١٤٩، 269، ٢٧٩.

(٣٧) المصدر نفسه والجزء، ص269.

(٣٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٧، ٣٤٠، ٣٧٥، ٤٣٩؛ ج٢، ص١٨٧، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٦٥، ٤٣١، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٣.

(٣٩) الملك الأفضل، العباس بن علي بن رسول (ت: ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)، **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية**، دراسة وتحقيق: عبد الواحد عبد الله الخامري، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ص191.

(٤٠) للمزيد من هؤلاء العلماء الذين دخلوا اليمن خلال مدة الدراسة انظر: هُديل، **الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى**، ص١٩ – ٢٣.

(٤١) يقول الجندي عنه: " فعبدويه اسم أعجمي نحو سيبويه ونفطويه... ، والمهروباني لا أدري إلى ما هذه النسبة هل هي إلى بلد أو جد... ، سألت عن ذلك بعض من يدعي الخبرة فقال لعله نسب إلى بلد بساحل البصرة يقال له ماهروبان"، ولد سنة ٤٣٧هـ، ودخل اليمن في آخر المئة الخامسة، وكان قد تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ببغداد، وحدث في بعض الأسانيد أنه كان فراغه لقراءة المهذب على مصنفه، وأول بلد ورده من اليمن مدينة عدن ثم صار إلى زبيد، ثم انتقل إلى جزيرة كمران سنة ٥٠٥هـ، ولما استقر بكمران وشاع علمه قصده الناس من أنحاء اليمن بتهامتها ونجدها، وكانت وفاته بالجزيرة على الحال المرضي ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ٥٢٥هـ بعد أن بلغ عمره ثمانيا وثمانين سنة وقبر إلى جنب مسجده من جهة المشرق. الجندي، **السلوك**، ج١، ص٢٧٩ – ٢٨٢.

(٤٢) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص٣٢٦.

(٤٣) الجندي، **السلوك**، ج2، ص536.

(٤٤) بهجت، منى محمد بدر، **أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر**، ج١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص١٢٩ – ١٣٢.

(٤٥) الجندي، **السلوك**، ج2، ص536.

(٤٦) انظر: الملك الأشرف، **فاكهة الزمن**، (ب٥)، ص٣٤٩، ٤٥٠ – ٤٥١، ٥٦٥ – ٥٦٦، ٧١٨ – ٧١٩، ٧٥٦، ٨٠٩.

(٤٧) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، مكتبة وكالة المعارف التركية، اسطنبول، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، ص٤٢٢.

(٤٨) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٧٠.

(٤٩) الجندي، **السلوك**، ج٢، ص٤٣٢.

(٥٠) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣١١.

(٥١) الجندي، **السلوك**، ج١، ص٤٧٤.

(٥٢) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٢٩٧.

(٥٣) الجندي، **السلوك**، ج٢، ص٤٣٠.

(٥٤) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٨٧.

(٥٥) الطبلخانة: هي الموسيقى العسكرية التي تضرب في المناسبات المهمة، وتتكون من الطبول والأبواق والصنوج والأعلام الخاصة بالدولة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٧ – ٦، ١٣.

(٥٦) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج٢، ص١٨٨.

(٥٧) المصدر نفسه والجزء، ص٢٩٧.

(٥٨) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣١١.

(٥٩) الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت:٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، **المعتمد في الأدوية المفردة** ، صححه: مصطفى السقا، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٥ وما بعدها.

(٦٠) الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول، **المخترع في فنون من الصنع**، دراسة وتحقيق: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٨٩م، ص٢٥، للمحقق، ص٥٥ وما بعدها.

(٦١) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص28، ٤٥، ٢١٣، ٢٧٧.

(٦٢) المصدر نفسه والجزء، ص278.

(٦٣) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص٧٠.

(٦٤) أيمن فؤاد سيد، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٣١.

(٦٥) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص٧٠.

(٦٦) الحبشي، **حياة الأدب اليمني**، ص٦٠.

(٦٧) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ق١٦٠أ.

(٦٨) الحبشي، **حياة الأدب اليمني**، ص٦٠.

(٦٩) الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)، **ملح الملاحة في معرفة التفاحة**، تحقيق: عبد الله محمد علي المجاهد، ط ، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص٢٧ وما بعدها.

(٧٠) الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق: ك. د. ستر ستين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص٣٤؛ أيمن فؤاد سيد، **مصادر تاريخ اليمن**، ص١٣١– ١٣٢.

(٧١) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج1، ص442.

(٧٢) الملك الأفضل،**العطايا السنية**، ص91. وانظر: الملك المجاهد، علي بن داؤد بن رسول (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الخيول اليمنية في المملكة الرسولية**، تحقيق: هلال ناجي، مجلة دراسات يمنية، عدد (١٦) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية، صنعاء، يونيو ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص٢٠ – ٥٤.

(٧٣) الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول، **ملح الملاحة في معرفة الملاحة**، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، مجلة الأكليل اليمنية، السنة الثالثة، العدد (١)، صنعاء، ١٩٨٥م، ص١٦٧.

(٧٤) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج2، ص124 – 125.

(٧٥) انظر عن جميع هذه المؤلفات: الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص٣٩ – ٤١.

(٧٦) الملك الأفضل، العباس بن علي بن رسول، **رسالة في القتال**، تحقيق: علي بن سالم آل نصيف، رسالة ماجستير، جامعة مانشستر، لندن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٠ وما بعدها.

(٧٧) حقق الباب الرابع والخامس من هذا الكتاب الباحث علي حسن معيلي.

(٧٨) الخزرجي، **العقد الفاخر الحسن**، ص١٨٧.

(٧٩) الوصابي، وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي، **تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص١٩٩.

(٨٠) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٢١٩ – ٢٢٠.

(٨١) عرف بأنه كان من أعيان التركمان في مدينة إب لسيرته المرضية، ولما اتصف به من صفات حميدة، وقد تم تعينه والياً على إب من قبل المظفر الأول التركماني، فأحبه الناس هناك لأعماله التي كُرست لصالحهم، كما أخذ في حل العديد من المشكلات التي واجهت أهالي بعض المناطق، فكان خير منصف لهم، وكشف عنهم الضر في العديد من الأمور، كما يقول الجندي لهذا ولي على الجند سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، وحسنت سيرته، وسعد الناس بولايته لفعله المعروف بينهم، وزاد من محبة الناس له أعماله الخيرية في إب وزبيد، منها شرائه للكتب ووقفها على المساجد. الجندي، **السلوك**، ج٢، ص١٦٥.

(٨٢) وصف بأنه كان من أعيان أهل الدين والدنيا التركمان لما قدمه من أعمال خيرية منها بناءه للمساجد وتعيين القائمين عليها، والاهتمام بالأيتام الذين لا عائل لهم. الملك الأشرف، **العطايا السنية**، ص٥٢٥.

(٨٣) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٢٧٨.

(٨٤) المصدر نفسه والجزء، ص٤٤١ – 442؛ الملك الأشرف، **فاكهة الزمن** ، (الباب الخامس)، ص٥٦٥.

(٨٥) انظر: **بهجة الزمن**، ص١٨٠ – ١٨١.

(٨٦) الجندي، **السلوك**، ج٢، ص٥٤٩.

(٨٧) المصدر نفسه والجزء، ص536.

(٨٨) كان السلطان المظفر يوسف من أكثر بني رسول التركمان اهتماماً بهذا الجانب، إذ خصص الأموال لشراء الكتب، وسار على نهجه معظم بني رسول وعلماؤهم وفقهاؤهم. انظر: الجندي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٠ –٢٩١، ٣٩٣،٤٧٢؛ ج٢، ص٣٠، ٦٢، ٨٧، ٤٠١، ٤٣٢.

(٨٩) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص٤٤١ – ٤٤٢؛ الملك الأشرف، **فاكهة الزمن**، (الباب الخامس)، ص٥٦٥.

(٩٠) ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص١٨٠ – ١٨١.

(٩١) انظر: المصدر نفسه، ص٢٢٠، وحاشية رقم (٥)، ص٢٢١، وحاشية رقم (٣).

(٩٢) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، ج٢، ص٣١٧ – ٣١٨.

(٩٣) الجندي، **السلوك**، ج٢، ص٧١، ٥٤٩.

(٩٤) بامخرمة، **تاريخ ثغر عدن**، ج١، ص٧٧ – ٧٨.

(٩٥) الملك الأفضل، **العطايا السنية**، ص٢٩٠ – ٢٩١.

(٩٦) انظر: الجندي، **السلوك**، ج٢، ص١٦٥، ٥٧٠، ٥٧١.